لهجة (القومان) في مدينة عنابة بين الإبداع اللفظي والتداخل اللغوي

نـــوار عبيـــــدي
جامعة العربي بن مهيدي الطارف

الملخّص:

يعرف الاستعمال اللغوي (للغة العربية) في الجزائر -وكذلك بقية الدول العربية- تنوّعا عجيبا يستدعي من الدارسين والمهتمين باللسانيات البحث في خصائصه وتحليله، وإن كان هذا التنوّع له أسباب تاريخية وجغرافية قديمة مشتركة، إلا أنّ هناك كثيرا من الظواهر اللغوية التي تحتاج إلى تفسير، فقد تجد مدينتين أو بلديتين قريبتين لا يفصل بينهما أي حاجز جغرافي لكنهما تختلفان في نطق أو استعمال بعض الألفاظ والتراكيب، ومثل هذه الظاهرة يمكن أن نجد لها تفسيرا مقبولا، العجيب هو أن تجد في المنطقة الواحدة استعمالات لهجية عديدة، وهذا ما لاحظناه في مدينة عنابة حيث توجد طائفة من الشباب يسمون أنفسهم (القومان) يستعملون لهجة خاصة بهم فيها كثير من الظواهر اللسانية (صوتية ولفظية وتركيبية) تحتاج إلى اهتمام اللغويين.

الكلمات المفاتيح: لهجة، القومان، استعمال لغوي، خصائص صوتية

Le Dialecte du GOUMANE de Annaba
Entre Créativité syntaxique et interférence linguistique

Résumé:

L'usage linguistique de la langue arabe en Algérie est connue par sa diversifié et ce le nécessite une analyse de la part des chercheurs, en particulier des linguistes. Chaque région d'Algérie a son dialecte. Il y a beaucoup de raisons historiques et géographiques qui expliquent cette variété. Mais il y a aussi d'autres phénomènes linguistiques qui ont besoin d'explication; par exemple, vous trouverez deux villes proches et sans barrières géographiques, mais elles ont des dialectes différents qui peuvent être justifiés scientifiquement. Ainsi, nous pouvons trouver de différents usages du dialecte dans la même région et ce que nous avons constaté à Annaba où il y a un groupe de personnes qui s'appelaient "Goumane". Ils utilisent leur dialecte spécial composé de nombreuses caractéristiques linguistiques; phonologiques, syntaxiques et sémantiques. Ces caractéristiques ont vraiment besoin de profonds études par les linguistes.

Mots clés: Le Dialecte, Goumane, L'usage linguistique, caractéristiques phonologiques.

Goumane Dialect in Annaba: Syntactic Creativity and linguistic Interference

Abstract:

The linguistic usage of the Arabic language is very diverse that requires analysis from the researchers especially the linguists. Every region in Algeria has its dialect. There are lots of historical and geographical reasons that explain this variety but there are also other linguistic phenomena that need explanation; for example, you will find two close cities without any geographical barriers but they have different dialects which can be justified scientifically. So, we will find different dialect usage for the same object and that what we have noticed in Annaba in which there is a group of people who called themselves "Goumane". They use their special dialect that consists of many linguistic features; phonologically, syntactically and semantically. Those features really need the care of the linguists.

Key words: The Dialect, Goumane, The linguistic usage, phonological features.

تمهيد:

تكتسي دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة أهمية كبيرة لدى اللغويين، والظاهر أن هذه الدراسات بإمكانها رد كثير من اللهجات إلى أصولها الأولى ومعرفة السبل التي سلكتها من تطور وتغير حتى وصلتنا في صورتها الحالية، فدراسة اللهجات تكشف للباحث والدارس المراحل التي مرت بها العربية وخط سيرها[1].

وتعرف الجزائر كباقي الدول العربية تنوعا لهجيا كبيرا نتج معظمها لأسباب تاريخية وجغرافية، وبعضها ظهر بسبب تلاقح الثقافات والشعوب نتيجة النشاطات التجارية أو العسكرية أو التوسعية الاستعمارية كاللغة الفرنسية على الخصوص.

وسنحاول في هذا المقال عرض لهجة متميزة في مدينة عنابة (مدينة ساحلية تقع شمال شرق الجزائر) لا يستعملها كل سكان المدينة، وإنما بعض شبابها يسمون أنفسهم بـ (القوم أو القومان)، ولهجة هؤلاء صورة من صور

الاستعمال اللغوي العامي، يمكن أن نطلق عليها لغة أدب الحيـــاة اليوميـــة[2]. وقبل التطرق لهذه اللهجة يجدر بنا أن نعرف أولا بـــ (القومان).

القوم و(القومان) والقومستي والرجلة؛ مصطلح واحد:

(القوم) برفع القاف ومدها مع الواو، هو الاسم الذي يطلق على جماعة معينة تتصف بصفات متميزة، وأساليب حياتية خاصة تختلف عن تصرفات السواد الأعظم من الناس في مدينة عنابة، وتطلق لفظة (القوم) على كل من ينتمي إلى هذه الجماعة، ويستعملون أيضا لفظة (القومان)، ويجمعونها على (قومانة) بثلاث نقاط فوق القاف.

ويبدو للوهلة الأولى أن أصل اللفظة من (القوم) بفتح القاف وإسكان الواو، وهم "الرّجال دون النساء، قال الله جلّ وعزّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[3]، وقال زهير:

وما أدري، وسوف إخال أدري ... أقومٌ آل حصن أم نساء ؟![4]

ويشير الخليل بن أحمد الفراهيدي (280 هـــ) إلى مصدر آخر هو (القومية) إذ يقول "فلان ذو قومية على ماله وأمره. وهذا الأمر لا قومية له، أي: لا قوام له، ورجال قيامٌ، ونساء قُيَّم،... وَقَيِّمُ القَوْم: من يسوس أمرهم ويُقَوِّمُهُمْ. ورمح قَوِيمٌ، ورجل قويمٌ. والقائمُ في الملك ونحوه: الحافظ. وكل من كان على الحق فهو القائمُ الممسك به"[5].

ويطلق (القومان) على نفسه لفظة أخرى وهي (القومستي)، والظاهر في الوهلة الأولى أن هذه اللفظة مركبة من لفظتين هما: القوم – ستي، لكن المتأمل سيجد أنها مركبة من قومس – تي، وإذا كان الجزء الثاني من اللفظة يقترب من (النسبة)، فإن الجزء الأول له معنيان:

1- قَوْمَسُ البحرِ وقاموس الْبَحْر، وَهُوَ مُعظم مَائه[6].

2- القُومَس، وَهُوَ الْأَمِير. قَالَ الشَّاعِر:

1-وعلمتُ أنّي قد مُنِيتُ بنِئطِلٍ... إِذْ قيل كَانَ من آل دَوْفَنَ قُومَسُ[7]

وذكر الفيروزأبادي أن "القَوْمَسُ: الأميرُ، ومُعْظَمُ ماءِ البَحْرِ، كالقامُوسِ. والقَمامِسَةُ: البَطارِقَةُ، والقَوامِسُ: الدَّواهي."[8]

أما مصطلح (الرجلة) بضم الراء وإسكان الجيم – فهو مصطلح شائع ليس في الجزائر فحسب بل في معظم بلدان العالم العربي– فأصله من لفظة الرجل الذي هو الإنسان الذكر، قال الخليل "هذا رجلٌ أي ليس بأنثى، وهذا رجلٌ أي كاملٌ، ولغة طيِّءٍ: هذه رَجُلَة وهذا رَجُلٌ أي راجِلٌ، وهي رَجُلةٌ أي راجلةٌ، وقال في الرِّجْلةِ التي المرأة:

خَرقُوا جَيبَ فَتـــــــاتِهُمُ ... لم يُبالوا سَوءَةَ الرَّجُلَـــــه

وهذا أرجَلُ الرَّجُلَين أي فيه رُجُولِيَّةٌ ليست في الآخَر"[9].

ويمكن أن نستنتج من كل تلك التعريفات أن لفظة (القوم) بالضم أو القومستي؛ تعني ذلك الرجل القوي، القوام على نفسه والأمير على غيره.

ولفظة (القومان) ليست غريبة عن التراث والأدب الشعبي الجزائري فقد ورد في قصيدة حيزية[10] لابن قيطون[11] قوله في البيت السادس:

جاب العسكر معاه، و(القمان) وراه *** طلبت ملقاه كل الاخر بهديا[12]

ويقصد بـــ (القومان) هنا ذلك العميل الخائن المعروف في العامية الجزائرية باسم (القواد) والذي تستغله فرنسا وتستعمله ضد الشعب الجزائري، أما الدكتور عز الدين مناصرة فقال إن معنى (القومان) الحاشية والأعيان[13] وهذا في رأينا بعيد.

(القوم) في مدينة عنابة:

والشباب (القوم) في مدينة عنابة منتشر فـــي كـــلّ الأحيـــاء، وهـــم معروفون تقريبا كلّهم، وقد انتشر صيتهم وانتشرت عاداتهم وسلوكاتهم فـــي كثير من أنحاء الوطن، وشباب المدن الأخرى يعرفون جيدا (القوم العنـــابي) وهم قريبون من شباب بعض الولايات الجزائرية خاصـــة شـــباب الجزائـــر العاصمة في حي باب الواد والحراش، حيث يطلق عليهم لفظة (المصـــاغر)، ويمكن فهم هذه الطائفة الشبانية من خلال الفيلم الســـينمائي (عمـــار قتلاتـــو الرجلة)، الذي أخرجه مرزاق علواش سنة 1976، وللعنوان دلالات كثيـــرة يفهم منها على الخصوص إلى أي درجة انغمس الشاب الجزائري في سلوك (الرجلة). ويمكن أن نرجع سبب ظهور (القومان) إلى ثلاثة أسباب رئيســـية وهي: السبب النفسي، السبب الاجتماعي، السبب الفني.

1- السبب النفسي:

تتكون شخصية (القومان) في بداية الأمر نتيجة دافـــع نفســـي يريـــد الشاب من خلاله إثبات رجولته كأي مراهق، فيحاول إظهار قدرته باحتراف الصعلكة وقطع الطرقات، فحين يبرهن على ذلك بتحدي المخاطر يتسلل إلى طائفة (القومان) وينضم إليهم، وهكذا يصل إلى ما كان ينتظره وهو ذكره في مجالس الشبان الشطار، ويكون هذا الدافع هو الذي أنشأ منه الشاب (القومان) في خطواته الأولى.

2- السبب الاجتماعي:

لاحظنا أن معظم الشباب (القومان) يعيش أوضاعا اجتماعية صعبة، مما يضطر (القومان) إلى الاعتماد على نفسه، فلا يجد بابا مفتوحـــا أمامـــه

غير السرقة والصعلكة. فيجد نفسه بين السهرات الليلية والملاهي، وبالتالي يلتجئ إلى طائفة (القومان) لينتمي إليهم. ليجد راحته الاجتماعية بين أقرانه.

3- السبب الفني:

وهذا السبب من أهم العوامل والدوافع لظهور (القومان) وتكوين شخصيته، بل إن القومان لا تكتمل رجولته إلا إذا تشبع بهوى القومان الفني. ويعد الفن الشعبي أو الغناء الشعبي من أقوى وأشهر الفنون التي تستهوي الشباب (القومان)، والمصطلح في حد ذاته يدل على شعبية هذا الفن المستمد أصلا من التراث الشعبي الجزائري، وهو شعر ملحون يؤدى بلهجة مفهومة، مصحوبة بنغمات الطابع الأندلسي (كالمالوف والحوزي) [14]. ومن أشهر رواد هذا الفن: الحاج محمد العنقاء، الشيخ مريزق، الشيخ الناظور، الحاج العنقيس، الشيخ القروابي، وغيرهم كثير جدا. غنوا لكبار شعراء الملحون منهم الشيخ ولد خلوف، المغراوي، العلامي، ابن مسايب وغيرهم.

وحين بحثنا عن سبب تأثر (القومان) بالغناء الشعبي دون غيره من أنواع الفنون؛ وجدنا أن الغناء الشعبي هو الوحيد تقريبا الذي يحمل معاني الرجولة والشرف والكرم بالإضافة إلى المعاني الدينية. ولأن بعض الأغاني الأخرى عبارة عن حكايات فيها الكثير من المغامرات مثل أغنية (عويشة والحراز)، فهذا النوع من المغامرات العاطفية محبوب جدا عند (القومان).

هذا ويتميز (القومان) عن باقي الناس بصفات معينة تتمثل في مشيته ولباسه وكلامه وحتى عمله، حيث يمكن معرفته بظواهره فقط، فلو غير مثلا في مشيته وملبسه وكلامه، فمعرفته تكون صعبة على الذين يجهلهم[15].

لهجة (القومان) وخصائصها:

في البداية يجب أن نجيب على السؤال الآتي: هـــل للقومـــان لهجـــة خاصة؟

واللهجة في أبسط تعريفها هي " طريقة معينة في الاستعمال اللغـــوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة".[16] ولهجة (القومان) في نظرنا مظهر استعمالي للغة العربية ينتمي إلى العامية الجزائرية، وهو مظهر لهجي لا يمكن أن يستهان به، والعامية الجزائرية ككل تحتاج إلـــى عنايـــة علميـــة خاصة، وقد اعتبر عبدالمالك مرتاض أن دراسة العامية أو التراث الشـــفوي ليس "من ترف القول أو البحث، ولا من بذخ التفكير، ولا من عقيم النتـــاج، وإنما هي ضرورية لطلاب فقه اللغة لكي يعرفوا كافة أصول لغتهم بما فيهـــا اللهجات العامية الشائعة"[17]. ونميل نحن إلى وسم لغـــة (القومـــان) باللهجـــة العامية العنابية.

بعض الظواهر اللغوية في لهجة (القومان):

1- **السياقات الصوتية المصاحبة للأداء الكلامي:** ونقصد بها ظاهرة التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم[18]، وهذه المصطلحات الأربعة ذكرها صـــاحب الخصائص، وهي التي تعطي الكلام أثناء اســـتعماله دلالات أخـــرى أعمـــق وأبين، دون أن ننسى النبر والتنغيم.

ففي تعليقه على قول العرب (سير عليه بليل) – وهم يقصدون الليـــل الطويل – قال ابن جني: " وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلـــك. وأنـــت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمَّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليـــه، فتقول: كان والله رجلًا، فنزيد في قوة اللفظ بـــ "الله" هذه الكلمة، وتتمكَّن في

تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا، وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لحزًا أو مبخلًا أو نحو ذلك"[19]. ونص ابن جني هذا في غاية الأهمية لو تأملناه.

فـ(القومان) لا يتكلم ككل الناس، بل إن لغته وصوته وحركاته تجعله ينفرد بطريقة في الكلام لا يعرف أحيانا إلا بها، أما الصوت فهو خشن فخم عند معظمهم، ويتكلف الكثير منهم في جهره، ولا تجد من يتكلم بصوت عادي أو رقيق مثلا.

والكلام أثناء النطق يكون بطيئا فيه مدود كثيرة، وإمالات أحيانا يصاحبها اعوجاج في الفم، وكأن (القومان) عندما يتلفظ يبدو لك أنه يخرج أصواته من إحدى زوايا فمه، ويصحب كلامه حركات كثيرة خاصة بالأيدي وبكامل جسده، وكأنه يروي لك معركة حاسمة، وإن كان الموضوع الذي يتكلم فيه تافها.

ولا يخفى على أحد أن اللغويين يعرفون أثر المصاحبة الحركية لجسم الإنسان، وهي تدخل في السياقات الكلامية التي يتناولها التداوليون بالإضافة إلى أهمية وخصائص تلك الحركات في عملية الاتصال. أما الدراسة الصوتية الوظيفية فهي ضرورية لفهم النصوص الشفوية، ذلك لأن الأصوات "تكتسب أثناء الكلام صفات جديدة، وخصائص لفظية، وذلك نتيجة عادات نطقية متوارثة...وانفعالات نفسية... تؤثر في جهر أصوات الكلام، والتنغيم في مقاطع الكلام صعودا وهبوطا. كما تؤثر في ترتيب النغمات المتتابعة في المجموعة الكلامية..."[20].

2- **الإبـــدال:** والإبدال نوعان مطرد وغير مطرد. وقد تكفل علـــم الصـــرف بالأول، لأنه مطرد عند جميع العرب، أما الإبدال غير المطرد فـــذلك الـــذي يحدث في الألفاظ وينتج عنه أصل وفرع في اللفظة[21].

ويظهر الإبدال في لغة (القومان) في الأمثلة الآتية:

- إبدال الجيم زايا:

2-(دزازة) أي دجاجة

(زراية) - بتشديد الراي- أي جراية وهي لفظة تطلق على السيارة.

(رازل) أي راجل خلاف المرأة.

- إبدال الشين سينا:

(السمس) أي الشمس.

(وس بيك)؟ أي وش بيك؟ بمعنى: ما بك؟

وهذا الاستعمال معروف في لغة العرب، وقد ذكر ابن السكيت فـــي كتابه القلب والإبدال في (باب السين والشين)، وأن الأصـــمعي قـــال" يقـــال جاحشته وجاحسته وجاحفته إذا زاحمته، قال وبعض العرب يقول للجحـــاش في القتال الجحاس"[22].

وحسب رأي ابن جني فإن مثل هذه الصيغ مـــن الإبـــدال العربـــي مادامت اللفظتان متفقتان في المعنى، إلا أننا لم نفهم الســـبب الحقيقـــي لهـــذا الإبدال في لغة (القومان) سوى محاولة للتطريح فـــي اللفـــظ والتميـــز فـــي استعمال الصوت. وسهل ذلك التقارب الشديد في مخـــارج الأصـــوات بـــين (الجيم والزاي) وبين (السين والشين).

وإذا كان ابن جني يرى هذا من الإبدال؛ فإن أبا الطيـــب اللغـــوي لا يعده كذلك حيث قال: "وليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف بحرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتـــان فـــي لغتـــين

والمعنى واحد"[23]. والظاهر أن رأي ابن جني أقرب للصواب؛ فليس شـــرطا أن تكون اللفظتان الحاملتان للإبدال لغتين مختلفتين.

3- **القلب:** وهو من سنن العرب في الكلمة كقولهم: جَذَبَ وجَبَذَ وضَبَّ وبَضَّ وبَكَلَ ولبكَ وطَمَسَ وطَسَمَ.[24].

وجاء في لغة (القومان) قولهم: بالاس والقصد لابـــاس. أي لا بـــأس بمعنى بخير.

وقولهم: العقيلة فاسدة، والقصد العقلية فاسدة. أي العقـــل أو التفكيـــر الفاسد.

وقولهم: الحبارش، وهي الحرابش. وهي الأقراص الطبية.

تلكم بعض الظواهر الصوتية عند القومان.

المعجم اللفظي عند القومان:

تتميز لهجة (القومان) بثراء لغوي كبير، نذكر هنا بعضا من معجمه اللفظي للتعريف بهذا التنوع في الاستعمال، فللقومـــان مئـــات الألفـــاظ ذات الأصول العربية التي لها معنى دارج في اللسان، كما لديهم عشرات الألفـــاظ ذات الأصول الفرنسية والإيطالية دخلت الاستعمال وعربـــت، ونحـــن هنـــا سنعرض بعضا من معجم القومان اللغوي والذي لا يحتاج إلى شـــرح كبيـــر وعودة إلى المعاجم العربية، لكن نؤكد أن هذا المعجم يحتاج إلـــى دراســـات لغوية أعمق.

1. تسمية بعض الأشياء:

- الجداب: وهو (القوم) و(القومان) هو المجدب. وأصل اللفظـــة مـــن جذب يجذب، أي جذبه (القوم). ويقال له أيضا (لومبوش) وهو مـــن

الكلمة الفرنسية l'embauche أي التوظيف، ودلالتها الـــدخول فـــي صف (القومان).

- الخدمي: وهو السكين، ويطلق عليه (المضى) من كلمـــة مـــاض أي حاد. أو (كرون داري) نسبة إلى cran d'arrêt وهو سكين فرنســـي الأصل. ويطلق عليه (بوسبعة) لاحتوائه على سبع درجـــات أثنـــاء فتحه.
- الكحة: السجن.
- دم السبع: والسبع هو الأسد ودم الأسد كناية عن الخمـــر، ويطلـــق عليه أيضا (تقريعة الحلوف)، والحلوف هو الخنزير، ويسمى أيضـــا (الديفان).
- الزمبريطو: وهو مشروب غازي مخلوط بالكحول الطبية. يســـتعمل كالخمر.
- الزطلة: وهي المخدرات أو الشـــيرة، (ومعناهـــا تزطـــل أي تفقـــده الوعي)، وتسمى الدوخة.
- زبايطي: وهو رجل الأمن أو الشرطي، ويســـمونه أيضـــا (البريـــد) بتسكين الباء، و(الحنش) أي الثعبان. وجمعها زبايطية، وبـــردوات، وحنوشة.
- الحرابش: وهي الأقراص المخدرة، (نسبة إلى الحبارش) ويســـمونها (القفالي) جمع قفلة.
- العط: النقود، وتسمى (العقاب).
- القروم: بثلاث نقاط فوق القاف مفتوحة، وتشديد الراء وهـــو كبيـــر السن.
- طالوشة: الحذاء وهي لفظة إيطالية.

- معفط: وهو الشيء القبيح.
- الجراية: السيارة. وتنطق (الزراية).
- المدقدق: بثلاث نقط فوق القاف وتعني المتعب.
- المتنوي: الغاضب.
- خاليس: وهو نداء بمعنى خالي وأضيفت السين.
- المبزق: بثلاث نقط فوق القاف وتعني المخدر.
- المذرح: المزور.
- المبورخ: رخيص الثمن.
- قافل واو: أي في حالة سكر شديدة.
- المحلب: الذكي.

2ـ تسمية القيم المالية والنقدية:

عند (القومان) اسم لكل قيمة نقدية (من النقود الجزائرية)، فإنك لا تفهم إن قيل لك مثلا: أعطني نص تخميمة ودفرة ودوامة، وهو يقصد 61 دج. وذلك أن معنى:

- دوامة: دينار واحد.
- قيس: 5 دنانير.
- دفرة: 10 دنانير.
- نص تخميمة: 50 دينار.
- تخميمة: 100 دينار. وذلك نسبة إلى الورقة النقدية الجزائرية ذات الفئة 100 دج التي تحمل صورة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وهو يضع أصبعه على صدغه في حالة تفكر (يخمم).
- زربية: 500 دينار.

- طورو: 1000 دينار. و(الطورو) لفظة فرنسية taureau تعني الثور وهو مرسوم في الورقة المالية وهي تسمية جديدة.
- بركة: بكسر الراء أي 10000 دينار.

3ـ ألقاب الأشخاص:

كما يعرف (القومان) بتسمية بعضهم بعضا بألقاب غريبـــة، وهـــذه الألقاب هي عبارة عن عنوان شخصية (القومان)؛ لأنها مستمدة من شخصيته معبرة عن حاله مثل:

- صالح Petit main أي اليد الصغيرة كناية عن خفة السرقة.
- Kader loup (الذئب).
- رمضان قحة بثلاث نقاط فوق القاف.
- فوزي Renard (الثعلب).
- صالح Crocodile (التمساح).
- مجيد الغول.
- عبد السلام L'araignée (العنكبوت).
- فوزي حلوفة أي (أنثى الخنزير).
- فوزي Tigre (النمر).
- صالح (قرنيط) أي الأخطبوط البحري.
- صالح (الراقادان) أي ذو القرون الكبيرة.
- محمد Moustique أي الناموسة.
- محمدmousse à lame أي شفرة الحلاقة.
- محمد Super.
- عبد المجيد Barou.

- عمار Tonton.
- محمد Passe par là. وهو من أكبر (قومانة) مدينة عنابة.
- رزاق Flambeau أي المشعل.
- محمد Danger.
- عبد الحميد (فيرايور) Ferrailleur.
- محمد الشريف (طاييباس) Taille basse.
- محمود دجاجة.
- داندراوي سلطان القوم.
- عبد السلام صرصور.

ولو تأملنا جيدا في هذه الألقاب لوجدناها تشير إلى ما يلي:

1- أن معظمها دالة على أسماء حيوانات مشهورة بالشجاعة والقوة وتحدي المخاطر وكذلك الذكاء والحيلة.

2- وألقاب أخرى صفات للقومان (Tay basse، Super، Petit سلطان القوم).

3- يغلب على الألقاب اللغة الفرنسية لاستعمالها الكثير من قبل كبار (القومان).

الأمثال الشعبية عند (القومان):

للقومان مجموعة مهمة من الأمثال كثير منها من إبداعاتهم، وبعضها مأخوذ من الثقافة الشعبية الجزائرية أو العربية، ولا يخفى على أحد ما للأمثال من قيمة في الاستعمال اليومي فهي وشي الكلام وزينته.

ومن أمثالهم:

✓ لو كان جيت (قوم) راني مربوط بحزام من ثوم

- ✓ (القوم) في البحر يعوم
- ✓ الرجلة دتها الحجلة، والحجلة داها الصياد، والصياد داه الواد
- ✓ ياك تعرف اللي صافي والزوخ ما يزيد في الرجلة
- ✓ اللي فاتاتو الرجلة يلحقها بالتوشام
- ✓ الرجال بالرجال والرجاء بالله
- ✓ في خاطر لحباب نخش لجهنم
- ✓ الفرخ في يد من زوا
- ✓ الوقت في زمانه يفنى، والبحر يبحر موجاته
- ✓ اللي عينه في الحوت يدير قصبة وخيوط
- ✓ كي يعطيك العاطي لا تشقى لا تباطي
- ✓ فيقوا يا نايمين، اللي شاح يلبس
- ✓ يا من زار وخفف وكانت زيارته مخفوفة، ويا من زار وطول وكانت زيارته مشومة، وديمة زيارة الضيف مقبولة
- ✓ ما بقات حتى عشرة، ارفد صباطك وامشي
- ✓ آي توالي ونغرسو الدوالي
- ✓ الرجال تتلاقى والجبال ما تتلاقاش
- ✓ عينين الفنار في كل حومة داير غار
- ✓ الطعيز للمعيز، الطوايش للهوايش، والسمير للحمير، والبردعة للبعير
- ✓ حط لبرة تلق الخيط
- ✓ حل الباب تلق الطاقة
- ✓ البكاء عند راس الميت
- ✓ باز (صقر) وإلا رخمة (طير ضعيف)
- ✓ عسلامة باللي جاء وجاب، واللي ما جاب ما نردولوا جواب

- ✓ كخ يا بقرة ما فيك حليب
- ✓ وينكم يا خرفان كي كنا ززارة (جزارة)
- ✓ وينكم يا حيوط كي كنا سباغة
- ✓ طار الحمام وحط الزاوش
- ✓ كي غيب البلبل يخلفه الهازار
- ✓ عيش يا بلارج في بلاد الحيوان
- ✓ قيس قبل ما تغيص وإذا غصت ما بقاش قياس
- ✓ شد في الحكمة واقرا في حروف الميزان
- ✓ زردح بردح واللي ما يصليش على محمد عمره ما يربح

ونلاحظ:

1- لغة المثل عامية، يفهمها الجميع إلا أننا نجد بعض الألفاظ الخاصة بالطائفة فقط كقولهم: السمير، زردح، بردح، الطوايش، الطعيز...

2- هناك بعض الأمثال المتداولة بين عامة الناس ومنتشرة كثيرا في مجتمعنا، منها: (اللي يبيعك بالفول بيعو بقشورو)، (من اللي دفنوه ما زاروه)، أو (كل طير يلغي بلغاه) وغيرها ولكن ركزنا على المتداول عندهم فقط.

3- توظيف حسن للآراء الدينية في أمثالهم كقولهم: (الرجال بالرجال والرجاء بالله)، (زردح بردح واللي ما يصليش على محمد عمره ما يربح)، (كي يعطيك العاطي ما تشقى ما تباطي).

4- استعمال التشبيهات والكنايات وبعض الاستعارات.

الخاتمة :

لقد حاولنا في هذا المقال أن نرصد بعض الظواهر اللغوية للهجة (القومان)، فبالإضافة إلى القلب والإبدال فهناك الغنة والإمالة وخاصتي النبر والتنغيم وكلها من المباحث اللسانية الحديثة المهمة خاصة ضمن المنهج الصوتي الوظيفي.

أما من حيث المعجم فإن لغة (القومان) فيها إبداع لفظي بديع وكنايات واستعارات جميلة بالإضافة إلى استعمالات منقولة عن الفرنسية الناتجة عن تأثر تاريخي أو تداخل لفظي ناتج عن تلاقح اللغتين.

ونشير في الأخير إلى أن هذه الطائفة من المجتمع الجزائري تحتاج إلى أكثر من دراسة ومنهج خاصة فيما تعلق بالدراسات الثقافية الشعبية، فقد أحصينا لها أكثر من مئة شكل في الوشم، بالإضافة إلى نصوص كثيرة في الحكاية والخرافة وهي جديرة بالدراسة أيضا ضمن مناهج الأدب الشعبي والأنثروبولوجيا والميثولوجيا، فضلا عن علمي الاجتماع والنفس.

الإحالات والمصادر والمراجع:

[1] عبدالغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطور، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1992، ص7.

[2] محمد عيلان، التراث الشعبي الجزائري مفاهيم وممارسات، مجلة التواصل عدد4، جامعة عنابة، ص167.

[3] سورة الحجرات/ الآية 11.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد 1985. (ق و م).

[5] م ن، (ق و م).

[6] ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987. (ق و م).

[7] م ن، (ق و م).

[8] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005. مادة (ق و م).

[9] العين، (ق و م).

[10] حيزبية هي امرأة جزائرية صحراوية جميلة توفيت حسرة لأنها لم تتزوج بابن عمها سعيد، فأراد زوجها سعيد أن يخلدها فطلب من صديقه الشاعر ابن قيطون أن يكتب عنها فكانت هذه القصيدة الرائعة التي مطلعها:

عزوني يا ملاح في رايس لبنات * سكنت تحت اللحود ناري مقديا

[11] ابن قيطون شاعر جزائري من كبار شعراء الملحون ولد سنة 1843، وتوفي سنة 1907، قصيدته حيزية من أروع ما كتب في الشعر الملحون وقد غناها كبار المطربين مثل خليفي أحمد، عبابسة، درياسة، وغيرهم.

[12] (معاه) أي معه، و(القمان) هكذا في الأصل دون واو، والأصح أنها بالواو، و(بهديا) أي بهدية.

[13] انظر عز الدين مناصرة، حيزية عاشقة من رذاذ، دار البهاء، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1986، ص160. وهذا ديوان للشاعر الفلسطيني عزالدين مناصرة غنى فيه عن حيزية ونشر قصيدة حيزية لابن قيطون ملحقة بديوانه.

[14] وينقسم هذا الغناء إلى: مدائح، وقصائد، وربيعيات. فالمدائح هي الأغاني التي فيها مدح للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر مآثره وأخلاقه، ومن المدائح المشهورة (يا صاحب الغمامة) و(يا محمد آي سيدي) التي يؤديها الحاج محمد العنقاء ومطلعها:

أحسن مـــا يقـــال عندي بسم الله وبيك نبـــدا

حبك في سلطان جسدي نعزك يا عين وحدة

أما القصائد فهي الأغاني الأخرى غير المدائح ولو كان مضمونها دينيا مثل: (سبحان الله يا اللطيف) التي أداها الحاج محمد العنقاء ومطلعها:

سبحان الله يا لطيف أنت اللي تعلم
كاين شي ناس من ستحاهم يقولوا خاف

ومثلها (المكناسية) ، و(يا الوحداني).

أما الربيعيات فنسبة إلى الربيع، وهي الأغاني الغزلية كأغنية (مال جفني) التي مطلعها:

ما لجفني يبكي بالدمع ليل ونهار ÷ ما لجفن حبيبي صاحي من الدموع

ومثلها (يوم الجمعة خرجوا لريام) التي أداها بامتياز الحاج (قروابي).

[15] يجب أن نشير إلى أن الأخلاق العامة للقومانة ليست حسنة، فمعظمهم مدمن على الخمر والمخدرات، والكثير منهم يعيش على السرقة والصعلكة، وهم مشهورون بخصوماتهم وأعمالهم المنحرفة، لكن لديهم بعض المظاهر الإيجابية المتمثلة في صفات الرجولة والوفاء والكرم والاحترام خاصة مع الآخرين. وقد اشتهر بعضهم ببيع اللباس والسمك، ومعظمهم بطال يحترف السرقة، علاوة على حبهم للغناء الشعبي وحضورهم للأعراس والحفلات.

[16] اللهجات العربية نشأة وتطورا، م س، ص32

[17] عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981. ص5.

[18] وتَطَوَّحَ إِذا ذَهَبَ وَجَاءَ فِي الْهَوَاءُ، انظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة 3، 1414 هـــ. (ط و ح). وابن جني يقصد التلاعب بالكلام. والتطريح من طَرَحَ بِالشَّيْءِ وطَرَحَه يَطْرَحُه طَرْحاً واطَّرَحَه وطَرَّحه: رَمَى بِهِ، وطَرَّحَه تَطْرِيحاً إِذا أَكثر مِنْ طَرْحه. انظر لسان العرب، (ط ر ح). ومنه مطارحة الكلام، وأما التفخيم والتعظيم فمعروفان.

[19] ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت، ج2 ص373.

[20] عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص88.

[21] اللهجات العربية، م س، ص 115.

[22] انظر ابن السكيت، القلب والإبدال، باب السين والشين، ص12.

[23] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998، ج1 ص356. وقد ذهب هذا المذهب أيضا ابن السكيت، والبطليوسي، وابن خالويه، وأبو علي القالي.

[24] الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 2002، ص 263.